

## سيف بن عمر

للدكتور جواد علي

—•••••—

ذلك سيف بن عمر ، مؤرخ نشيط من مؤرخي القرن الثاني للهجرة . كان مثل وملأه همًا في التعرّيش عن أخبار الماضين ، وتبج أمورهم ، والكتابة عن الأموات من قبل جماعتنا أصحاب التاريخ لم يترك التاريخ حتى أحبه واصطفاه من بين الناس ذات سنة ١٨٠ للهجرة فكتب عنه من كان على شاكلة ، من أصحاب التاريخ من هؤلاء المفتونين ببيش الماضي ، والبحث عن الحسنة والبيئات . وهي لا تقدم المؤرخ المسكين ولا تؤخره ، ولا تقدم العالم ولا تؤخره ، ولكنها الدنيا ، والدنيا عالم الجنون فيه فنون . وأنا مع الأسف الشديد من صرعى هذا الجنون . ولكن وقد الحد الذي لا يمد على محبوب أو مكروه سواء ، لولا هذا الجنون لما حدث عمران ولا ظهر اختراع ولا حدثت هذه الطفرات التي هي من عمل « الجانين » الذين يتسازون عن الأسواء بحالات سمها يا أخي ما شئت ...

ثم سيف بن عمر الذي أقدمه للقراء كورق من مدينة « الكوفة » المدينة الحاربية النهائية السفيانية الروانية السياسية ، حرواب المدن ، و « منجستر » زمانها ، صاحبة المامل الضخمة ، والشركات الكبرى لمنع الأخبار ، ورواية الأحاديث ووضع القصص ، المدينة التي نغفت سوقها في الأخبار ، واشتغلت معاملها ليل نهار في صنع الشعر والنثر فأخرجت بضاعة مزجة ، على درجات تباينات ، بينها الصحيح السليم الأسيل الذي يحتل أعلى درجات الرواية ، وبينها الموضوع المتحول القاسد ، الذي له أصحاب واتباع وسوق على كل حال ، يعيش عليه عدد من أصحاب النطنة والذكاء والمكر والقصد ، وأصحاب العقائد أيضاً الذين يرون في الوضع نمرأ للعقيدة والذهب ، وقرنوا إلى الله ، وراحة للضمير .

ولم يرد في الكتب أن صاحبنا كان واحداً من أولئك الذين عرفوا بالديث والمجون وبفساد الأخلاق كوالبة بن الحبّاب ، أو مطيع بن أبياس ، أو حماد بن مجرد ، أو حماد بن الزبرقان ، أو حماد

الراوية ، أو أشاطم من اختلط حديثهم بالجون ، واكتسب أدهم لونا ، وإن كان أسد ما يكون عن الشهامة والآداب ، وحياة الرزاة والحد ، وأترب ما يكون إلى البت وعضية الوقت ، إلا أنه لون ظريف على كل حال من ألوان الأدب . والأدب في عرف الادياء أشكال وألوان . ولم يعرف عنه شعر من ذلك النوع الذي كان يقوله الشعراء في دار « ابن رامين » قبله الشعراء الجان الذين يبحثون عن الخمر والجمال في هذه الدار . ولم يعرف عنه أسر آخر من تلك الأمور التي تعد منقصة في الرجال ، ومع ذلك فقد اتهم بالزندقة والوضع ، والكذب في الحديث .

أما الزندقة فلا أستطيع أن أثبتها ولا أن أنفيها ، فلم تذكر الكتب التي اتهمته بهذه التهمة الأسباب الداعية إلى هذا الاتهام . وأما الوضع والدمس والكذب في الحديث فلها شأن سترها فيما بعد . وعرف سيف بتخصسه بلون واحد من الأخبار ، هي أخبار « الفتح والردة » وكأها حروب وعراك : حروب نصر كفة الله وإعلان شأنه ، وعراك لإخاد كفة من أراد إخماد كفة الله وإطفاء نوره . ولذلك قيل له صاحب « كتاب الردة والفتح »<sup>(١)</sup> وعرف بهذا الكتاب الذي لم يصل إلينا كاملاً مع الأسف ، ولعله لم يصل إلى الناس منذ أمد بعيد . وتدل وقائع الأحوال على أنه كان صاحب كتب أخرى في التاريخ .

وقد اعتمد على هذا الكتاب مؤرخ حبيب شهر هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب أبو جعفر الطبري التوق سنة (٣١٠) للهجرة ، وإلى هذا المؤرخ يود الفضل في إطلاعنا على نماذج من ذلك الكتاب ، وعلى فصول منه . وقد ألف عدد من كبار المؤرخين في « الردة » ومع ذلك فقد رجح الطبري سيف على سواء ؛ رجحه حتى على « كتاب الردة والفتح » لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي<sup>(٢)</sup> . وعلى كتاب الردة « لأبي الحسن علي بن محمد المدائني »<sup>(٣)</sup> . وعلى كتب أخرى لمؤرخين شهور في هذا الموضوع كانوا في الطليعة وفي مقصدة أصحاب الأخبار . ويستمر صوت « سيف » عالياً في تاريخ الطبري ، حيث تجده

(١) الفهرست ص ٢٨ . (الطبعة المصرية) .

(٢) الفهرست ص ١٤٤

(٣) الفهرست ص ١٤٩

فلا يجب إذاً إذا ظهر من قال : كذب والله أصحاب التاريخ . ودليل العالم من شر المؤرخين . وأنا واحد منهم على كل حال .

درس سيف بن عمر على جماعة من المؤرخين والمحدثين والأخباريين أمثال هشام بن عمرو المتوفى سنة ١٤٦ أو ١٤٧ للهجرة وهو من ممثلي مدرسة الحديث في المدينة ومن كبار المحدثين بها ، وناشر طريقة أهل المدينة في العراق<sup>(١)</sup> ، ومن المحدثين بحديث أهل العراق ، والذي عداه أهل المدينة فيمن أسف في أواخر عهد في الحديث ، وانحرف عن الجادة ، جادة أهل المدينة للمروقة في كيفية رواية السند ، وفي المرح والتعديل ، فتركه المشايخ مشايخ المدينة الذين حافظوا على الطريقة التي ورثوها وهي طريقة محافظة بالنظر لأهل الحديث في العراق .

ودرس على محدث آخر يرجع أصله إلى البيزنطيين هو ابن جريح ، أبو الوليد أو أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز الروي المتوفى سنة ١٥٥ هـ من أوائل المؤرخين في الإسلام . وكانت له كتب تتداولها الأيدي عرفت عند أصحابه بكتب الأمانة<sup>(٢)</sup> . يظهر أنها كانت مبروية وصحية على فصول . وهو من المشتغلين بالسيرة والغازي بالإضافة إلى الفقه والحديث . وأخذ من أستاذ آخر هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير المتوفى سنة ١٤١ للهجرة من محدثي المدينة ومن قضاة المشتغلين بالسيرة والغازي<sup>(٣)</sup> . وهو ثقة أهل المدينة في السيرة ، قال عنه الإمام مالك : عليكم بمنزلة موسى بن عقبة فإنه ثقة ؛ أو عليكم بمنزلة الرجل الصالح موسى بن عقبة فإنها أصح المنزلة . وهي شهادة ذات قيمة ، فقد كان الإمام صاحب الإرضاء ، لا يعلى مثل هذه الشهادة إلا بعد امتحان .

وقد نقل من منازبه عدد من العلماء مثل ابن جريح والواقدي وابن عيينة ، وعرف مؤلفه عند المشايخ بمنزلة موسى بن عقبة . وقد فحرت على قطعة منه حفظت في خزنة كتب برلين<sup>(٤)</sup> . وكان من مشايخ سيف ، رجال معروفون في عالم التاريخ ، لهم

(١) تذكرة الحفاظ ١ : ١٣٦ ، تهذيب التهذيب ١ : ١١٠ ص ١٨

(٢) تهذيب التهذيب ١ : ٦٥ ص ٤٠٤ ، وتوفى سنة ١٤٩ على رواية

أخرى . تذكرة الحفاظ ١ : ١٦٠ - ١٦١

(٣) تهذيب التهذيب ١ : ١٠٠ ص ٣٦٠ ، تذكرة الحفاظ ١ :

ص ١٣٩ .

(٤) تذكرة الحفاظ ١ : ١٤٠ .

مكانة ظاهرة في الكتاب ، إلى انتهاء حوادث معركة « الجبل » فيختم هذا الصوت ثم ينقطع تماماً ، ليرتفع صوت آخر ، صوت قوى دنان ، هو صوت أبي عذف لوط بن يحيى بن سعيد بن عذف الأزدي<sup>(١)</sup> الذي يتسلم دوره ، ويصبح بطل الكتاب من معركة « صفين » فيما بعد بإعاده الدائني وعوانة والرازي وعمر بن شبة وابن الكلبي وأمثالهم .

وكان سيف كأكثر أصحاب الأخبار عاطف المراج ، متمسكاً بقيمته ، يرفع من شأنها ، ويضيف إليها ، ويجعلها بطله في كل الحوادث ، مثله في ذلك مثل أكثر مؤرخي زمانه ، الذين أضافوا إلى قبائلهم مالا يدخل في حسابها ، نقلوا لها شراً وتراً ليجمعوا لها شيئاً يفوق شأن القبائل الأخرى . وما الذي يهم ابن القبيلة غير قبيلته التي ينتمى إليها ، والتي تدافع عنه ، والتي تكون قوميته ، أما القبائل الأخرى فأمرها إلى الله .

وأنا لا أريد أن ألوم صاحبنا على ما خلفه الجماعة هذه ، فقد كان عصره عصر قبائل ، وقد كان النظام السياسي القائم نظاماً قبيلياً ، يستند على العصبية القبلية . لا حقوق للمواطن فيه إلا إذا كان ينتمي إلى قبيلة تحميه ، أو إلى عشيرة تدافع عنه ، تطييس إذاً أن يكون على المؤرخ في ذلك الوقت واجب شاق ، ودين في عنقه لقبيلة ، فهو مضطر إذا بحكم الوقت إلى التعصب لعشيرته ، وإضافة للفاخر إليها ، فلا نلوم صاحبنا إذاً إذا ما أضاف إلى « عميم » ونسب إليها في الفتوحات والردة ما كان يجب أن ينسب لقبيلة أخرى . فالعصر عصر قبائل . وقد نسب محمد بن السائب بن بشر الكلبي للتوفى سنة ١٤٦ وابنه أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى سنة ٢٠٦ لهجرة وغيرهما من هو أقدم أو أحدث هبناً منهما ، أشياء كثيرة إلى قبائلهم لم يكن لها أصل ولا نسب في الأخبار .

ثم لا تعجب من فعل أولئك الناس ؛ فقد أضاف القرن المشركون بألاهم واختراعاتهم وقدم النقل فيه أضاف الذي أضافه أولئك الذين تحدثت عنهم ، كما حذف القرون المشركون بكبريائه واعتداده بما يملكه من وسائل النقد والتدقيق ، والنمحيص ، شيئاً كثيراً من الحقائق والوقائع التي يبرفها الناس في كل مكان

(١) القهرست ص ١٣٦ J. wellhausen Das Arabische Reich

und sin Sturm P. V.

للهجرة وفي ابتداءه على بن أن طالب بالخروج إلى صغين . ثم تنتهي أخبار سيف عند هذا الحد وتقطع . فهل يعني هذا أن صاحبنا لم يشتمل إلا في الزدة وممركاة الجمل ؟

يحدثنا ابن النديم عن سيب فيقول : أحد أصحاب السير والأحداث وله من الكتب ، كتاب الفتوح الكبير والزدة ، كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي ، وروى سيف عن شعيب ابن ابراهيم .<sup>(١)</sup> فيظهر من كلام ابن النديم أنه كان صاحب مؤلف كبير في الفتوح يظهر أنه تقدم مع الأسف ، ولعل له عددا من المؤلفات الأخرى لم يصل خبرها إلي مسامع ابن النديم .

وأخذ الطبري أخبار « سيف » عن طريق آخر هو طريق شيخه « السري » الذي ورد اسمه في « ٢٤٦ » موضعاً من تاريخ الطبري . ورد لأول مرة في أخبار الزدة<sup>(٢)</sup> ، وورد لآخر مرة في حوادث سنة ١٤٥ للهجرة ، في معرض الكلام عن تأسيس مدينة بغداد<sup>(٣)</sup> . والسري الذي يقصده الطبري هو : السري بن يحيى<sup>(٤)</sup> من رواة شعيب بن ابراهيم الكوفي راوية كتب سيف بن عمر . وقد قال ابن حجر المسقلاني عن شعيب ابن ابراهيم فيه جمالة ، ليس بالمروف وله أحاديث وأخبار وفيه بعض الفكرة<sup>(٥)</sup> ولا تصرف من أمرها مع الأسف شيئاً مع كثرة ورود اسمها في تاريخ الطبري .

لم يكن سيف بن عمر راوية شعيب بن ابراهيم كما ورد ذلك في كتاب الفهرست لابن النديم<sup>(٦)</sup> وفي كتاب « ميزان الاعتدال » للذهبي<sup>(٧)</sup> المتوفى سنة ٢٤٨ للهجرة . والصحيح هو العكس . فقد كان شعيب بن ابراهيم راوية كتب سيف ، وقد صرح بذلك ابن حجر المسقلاني في كتابه « لسان الميزان »<sup>(٨)</sup> . كما أن الطبري نفسه يفتد رأى الفهرست وميزان الاعتدال في جميع المواضع التي وردت فيها أخبار سيف حيث يقول مثلاً « وحدثنى

أسماء بادرة ترد في أكثر الكتب التي تبحث عن صدر الإسلام أمثال محمد بن السائب الكلابي عالم الكوفة ومرجع أهل الأخبار والأنساب المتوفى سنة ١٤٦ هـ<sup>(٩)</sup> ومن المؤلفين ، وأمثال محمد بن إسحاق صاحب السيرة المروءة ، وحامل طريقة أهل المدينة في كتابة السيرة إلى أهل المراق . وأمثال هؤلاء ممن قد يخرجنا البحث عنهم عن الاستمرار في وحدة الموضوع .

واقبس من كتب « سيف » عدد من المؤرخين ، منهم ، نصر بن مزاحم المقرئ المتوفى سنة ( ٢١٢ ) للهجرة ، صاحب كتاب « وقعة صفين »<sup>(١٠)</sup> والطبري أبو جعفر محمد بن جرير ، في « أخبار الزدة » والظاهر أنه استعان بكتاب « سيف » بالذات كالذي يفهم من قول الطبري « حكى الطبري عن سيف في كتابه عن أبي عثمان . . . »<sup>(١١)</sup> . أو « ذكر سيف عن ابن الزهراء الفشيري عن رجل من بني قشير . . . »<sup>(١٢)</sup> ومن عادة الطبري استعمال مثل هذه العبارات عند النقل من الكتب ، وإلا فيذكر الهند ، إلا في الحوادث التي وقعت في أيامه أو في أيام ليست بعيدة عنه . واستعان الطبري بكتاب آخر من كتب سيف هو « كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي »<sup>(١٣)</sup> وقد أخذ سيف أخواله من مظانها الأصلية ، ومثل شهود عيان شهدوا المارك ، أو تقات سموا من الشهود الثقات ، وقد ذكرت أسماء قسم منهم في موضعه من تاريخ الطبري ، في القطع التي انثرت من ذلك للكتاب . لحفظ لنا « ابن جرير » بذلك نماذج من هذا المرجع القيم المفقود . ولعل له كتاباً في ممركاة « صغين » هو الكتاب الذي نقل متنه « نصر بن مزاحم » في بعض الأماكن من كتابه « وقعة صفين » ورد اسم « سيف بن عمر » في أكثر من « ٣٠٠ » موضع من تاريخ الطبري ، ورد لأول مرة في حوادث سنة ١٠٥ هـ للهجرة<sup>(١٤)</sup> وهي السنة التي بدأ مسيلة فيها بادعاء النبوة في حياة الرسول<sup>(١٥)</sup> . وورد لآخر مرة في حوادث سنة « ٢٦ »

(١) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ١٨٠

(٢) ص ١٢٤٨ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

(٣) الطبري ج ٤ ص ١٥٣ ( الطبعة المصرية ) .

(٤) الطبري ج ٤ ص ١١٥ .

(٥) الفهرست لابن النديم ص ١٣٧ ( الطبعة المصرية ) ص ٩٤

طبعة أوروبا .

(٦) طبري دورة أول من ١٧٤٩ ( طبعة دي غورج ) .

(٧) طبري دورة أول من ٣٢٥٥ .

(١) الفهرست ص ١٢٧ .

(٢) طبري دورة أول من ١٧٤٩ .

(٣) ص ٣٢٥٥ .

(٤) طبري طبعة مصر ج ٤ ص ١٢٤ ، طبعة لايدن دورة أول

ص ١١٩٧ .

(٥) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ ، ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٧

(٦) الفهرست ص ١٣٨ .

(٧) ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٤٧ .

(٨) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ .

نزول بغداد المتوفى سنة ٢٠٨ للهجرة<sup>(١)</sup> وكان من رواة «سيف» وكان من رجال الحديث ، كما كان من رجال التاريخ والأدب . وقد ورد اسمه في « ٣٩ » موضعاً من تاريخ الطبري ورد لأول مرة في حوادث سنة « ١٠ » للهجرة في خبر حجة الوداع ومراض الرسول<sup>(٢)</sup> . وقد نقل خبره عن سيف . ويظهر من هذا الموضع ومن مواضع أخرى أنه كان لسيف كتب أخرى في السيرة وفي الأحداث الأخرى . ربما لم تبق رواجاً ، أو حدث لها ما سبب فقدانها فلم يصل خبرها إلى ابن النديم وغير ابن النديم .

واعتمد الطبري في فصل الفتح على كتاب سيف كذلك ، وقد أخذ الفن من « السرى بن يحيى » في الثالب ، واعتمد عليه في أخبار الفتن التي قامت على عثمان مثل فتنة « عبد الله بن سبا » التي أظهرها في البصرة عام « ٣٣ » للهجرة . وقد نقل سيف روايته عن « عطية بن الحارث أبو روق الحمداقي من كبار رواة الأخبار في الكوفة ومن مشاهير القسرين . وهو من رواة عكرمة والضحاك بن مزاحم<sup>(٣)</sup> . وقد ورد اسمه في « ٤٦ » موضعاً من تاريخ الطبري<sup>(٤)</sup> وقد أخذ أبو روق أخباره عن عبد الله بن سبا وخبره مع أبي ذر الثفاري ، ومراسلات ابن سبا مع زعماء الفتنة من شخص آخر هو يزيد بن القمسي ، ورد اسمه « يزيد » في « ٥٥ » مواضع من تاريخ الطبري كلها في حوادث أيام عثمان وعلى<sup>(٥)</sup> . ومن هذا المصدر أخذ أكثر أهل الأخبار رواياتهم من عبد الله بن سبا وخنثه في أيام عثمان وعلى . ولعلك يجب الانتباه إلى ذلك عند تدوين هذا الحادث والتحقق في البحث وقد ذكر الطبري أسماء مشايخ «سيف بن عمر» في المواضع التي أورد فيها قطعاً من كتب (سيف) أو رواياته ، وهي تفيدنا بالطبع في معرفة أصاندة هذا الراوية من جهة ، وفي معرفة الرواة الذين كانوا يتعاملون برواية الأخبار في ذلك الوقت من جهة أخرى ؛ ويظهر عدد يظهر أنهم كانوا من أنشط الأخباريين في ذلك العهد ربما تحدث عنهم في فرصة أخرى إذا طال بنا السر .

### المكتوب جوار على

- (١) تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٨٠ .
- (٢) طبري دورة أول ص ١٧٤٩ ، ١٧٩٤ ، ٢٨٢٤ ، ١٨٢٥ ومواضع أخرى .
- (٣) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ٢٢٤ .
- (٤) فهرست الطبري ص ١٩٨ .
- (٥) طبري دورة أول ص ٢٨٤٩ ، ٨٥٨ ، ٢٩٢٢ ، ٢٩٤٢ .

بهذا الحديث السرى عن شعيب بن إبراهيم بن سيف<sup>(٦)</sup> . أو «حدثنا السرى قال أخبرنا شعيب قال حدثنا سيف»<sup>(٧)</sup> أو «كتب إلى السرى بن يحيى عن شعيب بن سيف»<sup>(٨)</sup> أو «قال أبو جعفر»<sup>(٩)</sup> فيما كتب به إلى السرى بن يحيى يذكر عن شعيب بن إبراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر<sup>(١٠)</sup> . فكان شعيب بن إبراهيم إذا من تلامذة سيف بن عمر ورواه وحامل كتبه وللقريين لديه .

وشعيب بن إبراهيم مثل شيخه لا تعرف من أمره مع الأسف شيئاً ، وقد ظن أصحاب علم الرجال فيه ، وقالوا إن فيه جهالة وفيه بعض الفكرة<sup>(١١)</sup> . وهي أقوال قيلت في أكثر الرجال الذين مالوا إلى الأخبار ، وقيلت أقوال أخرى أشد من هذه في أناس أعرف عندنا من سيف ، ومن شعيب ، ومن السرى بن يحيى ، مثل ابن إسحاق صاحب السيرة الشهيد<sup>(١٢)</sup> ، والواقدي محمد بن عمر المتوفى سنة ٢٠٧ للهجرة<sup>(١٣)</sup> . وابن الكلبي ، وفي أناس أرفع من هؤلاء في نظر أهل الحديث مثل عبد الملك بن جريج<sup>(١٤)</sup> . فلا غرابة إذا رأينا كتب الرجال وهي تجرح هؤلاء : السرى بن يحيى وشعيب بن إبراهيم وشيخه سيف بن عمر . وسبب ذلك على ما يظهر انشغالهم برواية الأخبار . وقد كان الاشتغال بيننا الفرع في القرنين الأولين من الأمور التي لا ترفع من شأن الرجل في نظر المحدثين .

وتتصل رواية الطبري من سيف بن عمر بطريق آخر : طريق حبيد الله بن سيد الزهري المتوفى سنة ٢٦٠ للهجرة<sup>(١٥)</sup> . وقد ورد اسمه في « ٤٠٠ » موضع من تاريخ الطبري<sup>(١٦)</sup> . وقد نقل روايات «سيف» عن عمه يعقوب بن إبراهيم بن سعد الزهري

- (١) الطبري ج ٣ ص ٢١٤ (الطبعة الحديثة) ومواضع متعددة .
- (٢) الطبري ج ٣ ص ٢١٥ ومواضع أخرى .
- (٣) الطبري ج ٣ ص ٢٤١ .
- (٤) حبيد الطبري ص ٤٠٠ .
- (٥) الطبري ج ٣ ص ٢٤١ .
- (٦) لسان الميزان ج ٣ ص ١٤٥ .
- (٧) راجع رأى الإمام مالك فيه تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤١ ، تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦٤ ، فهرست ص ١٣٦ .
- (٨) تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٣٦٤ . تذكرة الحفاظ ج ١ ص ٣١٨ .
- (٩) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٦١ ، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ١٠٤ .
- (١٠) تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٥ ، حبيد الله بن سعد بن إبراهيم بن سعد الزهري ج ١ طبعة لايدن وفي الطبعة المصرية « حبيد » .
- (١١) راجع فهرست الطبري ص ٣٦٧ (طبعة لايدن) .